على سبيل التقديم

سبحانك اللهم لك الحمد كله، ولك الفضل كله، ولك الأمر كله، لا نحصى ثناءً عليك، أنت الأول وأنت الآخر، وأنت الظاهر وأنت الباطن، وأنت على كل شئ قدير وبكل شئ عليم.

حمداً لك اللهم أن هديتنا إلى توحيدك، فكنا فى المؤمنين من عبيدك، نرجو ثوابك ونخشى عقابك، ونبتغى إليك الوسيلة، ونسلك إلى هداك سبيله، ونرفع إليك أكف الضراعة بالدعاء فى كل وقت وحين، فلا تردنا يا رب خائبين، وأنت البّر الرحيم، وأنت أكرم الأكرمين.

ثم الصلاة أزكى الصلاة، والسلام أتم السلام على نبيك الأكرم. ورسولك الأعظم، ومصطفاك لإبلاغ الرسالة، وإخراج الناس من الضلالة، نبراس الحق، وإمام الخلق، سيد ولد آدم محمد ﷺ، جعل معجزته الكبرى القرآن الكريم، فأنزله بلسان عربى مبين تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة للمؤمنين، وشفاء لما فى الصدور بما اشتمل عليه من العقائد الصحيحة، والآداب العالية، والتعاليم الجامعة، كل ذلك بألفاظ عذبة، وتراكيب جليّة وأساليب جذابة.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾[البقرة: ٢-٤].

يحدثنا التاريخ أن العالم قبل ظهور النبى محمد ﷺ قد غشيته سحابة كثيفة من الشِّرك والجهل والرذيلة والظلم، وحلّ المنكر محل المعروف، وقبض أهل الرذيلة على ناصية الأمم، واستولوا على مقاليد الأمور، وعمَّ الفساد أقطار الأرض، وسرى الموت بجميع ضروبه فيها، وأسدلت الظلمات أستارها؛ فعميت الأبصار، وزاغت البصائر.

يقول الأستاذ موير[1]: «إن النصرانية فى القرن السابع الميلادى قد أصبحت فاسدة مشوّهة».

ويقول جيبون: «إن النصرانية فى القرن السابع قد استحالت وثنية فقد أصبحت الوجوه تولى شطر الأصنام والأنصاب التى حلت محل الهياكل والمعابد».

ويؤكد هذا المعنى العلامة أبو الحسن الندوى[2] فيقول على لسان المؤرخ الغربى:

«لقد أطبق على أوربا ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً، وكانت همجية ذلك العهد أشد هولاً وأفظع من همجية العهد القديم لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفّنت، وقد انطمست معالم هذه الحضارة وبلغت أوجها فى الماضى، كإيطاليا وفرنسا، فريسة الدمار والفوضى والخراب.

وعلى الجملة فقد كان العالم متداعياً قد شارف النهاية: خلاصة ما يُقال فيه: إنه عالم فقد النظام كما فقد العقيدة.

بيزنطة قد خرجت من الدين إلى الجدل العقيم الذى أصبح بعد ذلك عَلماً عليها، وتضاءلت سطوتها فى البر والبحر حتى طمع فيها من كان يحتمى بحماها.

وفارس قد سخر فيها المجوس من دين المجوس، وكمنت حول عرشها كوامن الغيلة، وبواعث الفتن، ونوازع الشهوات.

والحبشة ضائعة بين الأوثان المستعارة من الحضارة تارة، وبين التوحيد الذى هو ضرب من عبادة الأوثان، ثم هى ليست بذات رسالة، ولا بذات طور من أطوار التاريخ، فليس لها عمل خالد فى سجل الأعمال الخالدات».

---

(١) كتاب «ترجمة محمد ﷺ».

(٢) كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» للعلامة أبو الحسن الندوى، ص٣٥.

وما عسى أن نتحدث عن حال العرب قبل الإسلام، فحسبنا الإشارة عن حال الجاهلية إلى وثنيتها الطاغية مما قضى عليه الإسلام. حكى الزمخشرى أنه كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنماً، لكل قوم صنم بحيالهم.

وذكر ابن اسحاق أن أهل كل دار اتخذوا فى دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح بصنمه، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به، فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لعبادة الله وحده قالوا ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

وكان العرب موزعين بين حالة لا استقرار فيها، على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم لا وزن لهم ولا ثُقلاً، قد فشا فيهم الترف والطمع والخمر والقمار والمتعة وتسخير الأقوياء للضُعَفاء.. والفاقة والحسرة، والشك فى صلاح الأمور.. بل لم يبق فى العرب رجل واحد على دين الله الذى أرسل الله به إبراهيم وإسماعيل والأنبياء من قبل ومن بعد يعبد الله تعالى بما شرع، ويوحده فى عبادته، اللهم ما كان من زيد بن عمرو بن نفيل[1].. اجتمع عليه أناس لإحياء عيد العُزَّى فقال لإخوانه: «والله ما قومكم على شئ وإنهم لفى ضلال.. فما حجر نطيف به لا يسمع ولايبصر ولا يضر ولا ينفع، ومن فوقه يجرى دم النحور.. يا قوم التمسوا لكم ديناً غير هذا الدين الذى أنتم عليه».. ثم تفرقوا فمنهم من تنصّر، ومنهم من اعتزل الأوثان، ومنهم من انتظر حتى سمع دعوة الإسلام فلبَّاها.. وكان الذى تنصَّر وسمع دعوة الإسلام ورقة بن نوفل الذى كُتب له أن يتلقى بشارة النبى العربى عند ظهوره ويُلقى إليه بالبشارة.

مع العلم أن اليهود كالنصارى قد فسد معتقدهم، وضاعت شريعتهم تحت تأثير التأويل للنصوص وتحريفها وتغييرها وتبديلها لتوافق الأهواء والأطماع

(١) وقد مات زيد قبل بعثة الرسول ﷺ، ومصداق هذا فى حديث مسلم قوله ﷺ: «ان الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» فهذا الحديث دليل واضح أن ما بعث النبى الخاتم محمد ﷺ وفى العرب رجل واحد على دين صحيح يعبد الله تعالى.

الخاصة والشهوات العارمة، فما أصبحت اليهودية ولا النصرانية تزكى النفوس ولا تصلح القلوب ولا تهذب الأخلاق بعد فسادها، فحاجة أهل الملتين إلى الإسلام كحاجة غيرهم من المجوس والوثنيين، وقد كان اليهود يستفتحون على مشركى العرب بقولهم إن نبياً قد أظلَّ زمانه، ويوم يظهر نؤمن به ونقاتلكم معه. نزل بقولهم هذا القرآن العظيم فى قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٨٩].

حال الناس هذه فى ضلالهم وعدم هدايتهم كانت مستوجبة للبعثة المحمدية متطلبة لها بل كانت حاجتها الملحة التى لابد منها.. وجاء محمد رسول الله ﷺ وحده بمفرده دون نصير ولا معين من البشر - فاستطاع أن يأتى بما عجزت عنه كل المحاولات والدعوات السابقة، وحقق فى سنوات معدودات معجزة أكبر انقلاب فى العالم حيث سما بأمة العرب فى جميع الميادين وأبرأها من أمراضها المتوطنة منذ قديم. واقتلع من عقلياتها وتفكيرها جذور الوثنية التى انحدرت بها إلى الحضيض، وذلك لأن علامة الكون وعلامة التاريخ كانت قد وضحت غاية الوضوح قبيل ظهوره عليه الصلاة والسلام.

قالت حوادث الكون: لقد كانت الدنيا فى حاجة إلى رسالة.

وقالت حقائق التاريخ: لقد كان محمد ﷺ هو صاحب تلك الرسالة.

ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ[1] النبى الأمى الذى انعقدت القلوب على محبته، وامتلأت الصدور بعظمته، وتعطرّت الألسن بذكره والحديث عنه ﷺ، قال اللَّه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة: ٢-٤].

(١) عبقرية محمد، للعقاد، ص٣١.

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب[1] بن هاشم[2] بن عبد مناف[3] بن قصيّ[4] بن كلاب[5] (حكيم) بن مرّه[6] بن كعب[7] بن لؤى بن غالب بن فهر[8] بن مالك[9] بن النضر[10] بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد[11] بن عدنان[12].

(١) عبد المطلب اسمه شيبه وهو أمير مكة وسيد البطحاء، وكانت له السيادة فى قريش، وصارت إليه السقاية والرفادة بعد عمه (عبدالمطلب) وهو الذى جدد حفر زمزم، بعد أن كانت مطمورة فى عهد جدهم، وهو أول من زين أبواب الكعبة بالذهب وعاش مائة وأربعين سنة.

(٢) وهاشم اسمه عمرو، وهو أول من سن رحلتى الشتاء والصيف إلى الشام واليمن، وهاتان الرحلتان هما اللتان ذكرهما الله تعالى فى قوله: ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ١ - ٤] وإليه ينسب بيت النبى وآله ﷺ من سبطيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء وأبوهما الإمام على رضى الله عنهم، وبنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ: ملح الأرض وزينة الدنيا، وحُلى العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وسر كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم.

(٣) مناف اسم الصنم الذى يقال له مناه، والذى جاء ذكره فى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝٢٢﴾ [النجم: ١٩-٢٢] وعبد مناف اسمه المغيرة.

(٤) قصى اسمه زيد وهو الزعيم العربى الذى أعاد لقريش مجدها وسؤددها وأطاح بخزاعة عن البيت الحرام (الكعبة) وأجلاهم عن مكة، ورجع الحق إلى نصابه، وهو الذى أسس دار الندوة، وكانت إليه الرفادة والسدانة والحجابة واللواء، وهو الذى سن السقاية، وهو أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدى إليها من يأتى إليها من عرفات وأول من أحدث الرفادة وهى إطعام الحجيج أيام موسم الحج إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم. وفرض على قومه ذلك ونهى عن الخمر قبل موته.

(٥) كلاب واسمه (حكيم) وهو جد أم رسول الله ﷺ فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. فهو ملتقى نسب أبى الرسول الكريم بنسب أمة وقيل أنه أول من سمى الأشهر العربية المستعملة الآن.

(٦) مرة كنيته أبو يقظة وهو الجد السادس لرسول الله والجد السادس أيضاً لأبى بكر الصديق.

(٧) كعب كنيته أبو مصيص وهو الجد الثامن لعمر بن الخطاب، وأول من جمع يوم الجمعة الذى كانت قريش تسميه يوم العروبة، كان يجمع قريشا يومها، فيخطبهم ويذكرهم ويبشرهم بمبعث النبى وأنه من ولده، وكان بين موت كعب ومبعث النبى خمسمائة عام وستون.

(٨) فهر اسمه قريش، وإليه تنتسب قريش، وما كان فوق فهر يقال له قريش، بل يقال له كنانى، وكان فهر كريماً يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله، وهو الجد السادس لأبى عبيدة بن الجراح.

(٩) مالك كنيته أبو الحارث.

(١٠) النضر اسمه قيس.

(١١) معد: كان فى زمن بختنصر وكان عمره وقتذاك اثنى عشرة سنة، وقيل ولما غزا بختنصر بلاد العرب حمل أرميا معداً معه إلى الشام. ويُفهم من هذا أنه كان موجوداً فى الزمن الذى غزا فيه بختنصر أورشليم (القدس) وخربها، وأنه عاصر كذلك أرميا الذى يعده بنو اسرائيل من أنبيائهم، ويقولون إن الله أوحى إليه برسالته سنة ٦٢٨ ق.م، وكان موجوداً ما بعد سنة ٥٥٨ ق.م.

(١٢) وإلى هنا معلوم الصحة، مجمع عليه فى نسبه ﷺ مُتفق عليه بين النسابين، وما فوق ذلك مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام.

(وانظر طبقات ابن سعد ١/ ٥٦، وتاريخ الإسلام ١/ ١٧-١٨، عيون الأثر ١/ ٢، وزاد المعاد ١/ ٧١، والروض الأنف ١/ ١١، والسيرة لابن كثير (١/ ١٨٨-١٨٩).

وقد أجمع النسابون على أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فانتهاء النسب إلى إسماعيل كثير النسل العديد وذى النبوة العظمى والمُلك الشديد، مُتفق عليه كمال الاتفاق. وأمه ﷺ هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، يلتقى نسب أمه ﷺ بنسب أبيه عند جدهما الأعلى كلاب(حكيم) بن مرّه.

وقد اختصه الله سبحانه وتعالى من أطيب العشائر نكاحاً، وحماه من دنس الفواحش والسفاح، ونقله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّى مهذباً، وفى الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً «. . لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما».

وهو ﷺ ذو نسب «إبراهيم خليل الله دعامه، وإسماعيل سنامه، وكنانة زمانه، وقريش نظامه، وهاشم تمامه».

وفى صحيح الحديث عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم» فهو خيار من خيار من خيار.

نسب تحسب العُلا بحلاه ... قلّدته نجومها الجوزاء

حبّذا عقد سؤدد وفخار ... أنت فيه اليتيمة العصماء

وولد ﷺ فجر يوم الاثنين لتسع أو لاثنى عشر خلون من شهر ربيع الأول[1] عام الفيل[2]، وأرسلت أمه إلى جده عبد المطلب تبشره بمولده، فأقبل

---

(١) وحقق المرحوم محمود الفلكى تاريخ مولد الرسول ﷺ وفق التقويم الشمسى فتبين له أنه يصادف العشرين من إبريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح.

(٢) عام الفيل: حادثة شهيرة حدثت بمكة فأرخت بها العرب، وملخصها أن ملكاً من ملوك الحبشة (أبرهة الأشرم) الذين امتلكوا اليمن أغار على مكة قاصداً هدم كعبتها، وكان فى مقدمة جيشه فيل عظيم لم يكن العرب قد رأوا مثله، فإكراماً من الله للنبى الذى أظل زمانه وغيرة على بيته الحرام، أهلك هذا الجيش، وهذه الحادثة سجلها القرآن الكريم فى احدى سوره (الفيل). قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: ١ - ٥].

مسروراً وبلغ من السرور مُناه، وأولم وأطعم وسمّاه مُحمّداً تيمناً بحمد عُقباه، وكان مولده ﷺ بالدار التى عند الصفا (شِعْب بنى هاشم) والتى آلت لمحمد بن يوسف الثقفى[1]، وكانت قابلته هى الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، وأرضعته أمه ﷺ سبعة أيام، ثم أرضعته (ثويبة الأسلمية)[2]، بلبن ابنها مسروح فترة قليلة من الزمن، ثم أرضعته حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية، وأبوه من الرضاعة هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السفدى، وأخوته من الرضاع بنوها عبد الله والشيماء وأنيسة، توفيت أمه ﷺ وله من العمر ست سنوات فكفله جده عبد المطلب الذى توفى ومحمد له من العمر ثمانى سنوات، فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه عبد الله، وكان أبوه ﷺ توفى وهو ابن خمس وعشرين سنة، وأم الرسول حامل به لشهرين فقط.

وهو ﷺ دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام لأهل مكة ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة:١٢٩] وبشارة عيسى عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[الصف:٦].

وإنما سُمّى فى بشارة عيسى أحمد، وهو مُحمّد كما سمّاه جده عبد المطلب، ليكون محموداً فى الأرض وفى السماء، قال رسول الله ﷺ «لى خمسة أسماء

---

(١) ذكر محب الدين الطبرى المكى فى كتابه «القرى لقاصد أم القرى» فى (ص ٦٦٤) قال:« كان عقيل بن أبى طالب قد استولى عليه (بيت النبى ﷺ) زمن الهجرة، فلم يزل بيده ويد ولده حتى باعوه لمحمد بن يوسف (أخى الحجاج) فأدخله فى داره التى يقال لها البيضاء، ثم عُرفت بدار ابن يوسف، ولم يزل ذلك كذلك حتى حجت الخيزران (جارية المهدى) فجعلته مسجداً يُصلى فيه، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذى يقال له «زقاق المولد» أ.هـ. وهو الآن مكتبة عامة.

(٢) وكانت ثويبة قد أرضعت قبله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأمه بنت عم آمنة أم النبى ﷺ (هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة) وأرضعت معه ﷺ أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى زوج أم سلمة؛ الذى أسلم بعد عشرة أنفس، وهو أخ النبى ﷺ من الرضاع وتوفى سنة ثلاث من الهجرة، وقال لما احتضر «اللهم اخلفنى فى أهلى بخير» فخلفه رسول الله ﷺ على زوجه أم سلمة رضى الله عنها وله من الولد سلمة وعمر ودرة وزينب، أمهم أم سلمة فكانت ثويبة جارية أبى لهب فاعتقها حين بشرته بولادته ﷺ عتقاً منجزاً ثم جعلها ترضعه بعد ولادته أياماً، وكان النبى ﷺ يبعث إليها بنفقة وكسوة واختلف فى إسلامها وأثبته ابن منده.

أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو اللَّه بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يُحشَّر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى»[1] وقد سماه الله رءوفاء رحيماً[2].

ومن أسمائه ﷺ طه ويس والمزَّمّل والمدثر[3] وعبد الله فى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾[الجن:١٩] ونبى التوبة ونبى الرحمة[4] ومذكر فى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] إلى غير ذلك من الأسماء الكريمة له ﷺ.

وقد نشأ ﷺ متأدباً بأدب الله تعالى مفطوراً على محاسن الشيم ومكارم الأخلاق، ولما شبّ عن الطوق وقوى على العمل اشتغل بحرفة الأنبياء قبله وهى رعى الغنم مع اخوته من الرضاع فى البادية، ولما رجع إلى مكة كان يرعاها بالأجرة، ثم اشتغل بالتجارة، فاشتهر عند العرب بالصدق فى الحديث وشرف الأمانة وحُسْن المعاملة حتى لقبوه بالصادق الأمين، ثم تزوج السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها[5] وأولد منها كل أولاده: القاسم وبه يُكنّى

---

(١) وللحديث ألفاظ وروايات مختلفة ذكرها السيوطى فى جامعه ٣٣١ جـ١ ومن رواتها البغوى فى الجعديات والحاكم والطبرانى عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه، والترمذى فى الشمايل، وابن سعد عن مجاهد مرسلاً، كل بروايته وسنده، وكثرة الروايات دليل صحة الحديث، والحمد الله رب العالمين.

(٢) فى آخر سورة التوبة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٩].

(٣) فى قوله تعالى: ﴿طه ۝١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿يس ۝١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

(٤) من قوله ﷺ: « أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الرحمة» رواه الإمام أحمد والإمام مسلم عن أبى موسى الأشعرى، زاد الطبرانى، «ونبى الملحمة».

(٥) أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، تزوجها ﷺ وهو ابن خمس وعشرون سنة وكانت سنها أربعين سنة، ولم يتزوج عليها فى حياتها معه ﷺ وهى أول من أسلم من النساء رضى الله عنها.. كانت تُسمى الطاهرة فى الجاهلية والإسلام، وفى سير التيمى: أنها كانت تسمى (سيدة نساء قريش)، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند هند بن زُرارة، وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، ولدت له عبدمناف بن عتيق، وقال الزبير: ولدت لعتيق جارية اسمها هند، وولدت لهند ابنا اسمه هند أيضاً، مات بالطاعون، طاعون البصرة، ولخديجة من هند ابنان غير هذا، اسم أحدهما: الطاهر، واسم الآخر: هالة (الروض الانف ١/ ٢١٥).

وعبدالله[1] وزينب[2] ورقية وأم كلثوم[3] وفاطمة[4] ما خلا إبراهيم[5] وقصارى القول أنه ﷺ كان قبل بعثته مثال الخُلق الفاضل والكمال الوافر والنجدة والوفاء والأريحية والسخاء وإغاثة الملهوف وحماية الضعيف ، ولقد حفظه الله تعالى قبل بعثته ﷺ من كل ما كانت تفعله العرب فى الجاهلية مما حرّمه الإسلام، ليكون على تمام الاستعداد لما سيُلقى إليه من الوحى فمثله كمثل سائر الأنبياء فى عصمتهم قبل النبوة، وبعدها عن كل ما يشين مراتبهم العليّة، ومنازلهم السنيّة العصماء.

وكان ﷺ يختلى فى كل شهر فى غار حراء بقرب مكة فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد، متفكراً فى صنع الله الذى اتقن كل شئ خلقه ثم هدى، ملازماً الصمت آناء الليل وأطراف النهار، واستطاب رياضته الروحية التى يحس خلالها كأنما يدنو من الحقيقة الكبرى ويستجلى السر الأعظم، حتى أتاه الوحى

---

(١) قال ابن اسحق : «فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا فى الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه ﷺ».

(٢) السيدة زينب كبرى بناته ﷺ، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع (أمه هالة بنت خويلد بن أسد)، وقد أسلم أبو العاص، وله من زينب: «علىّ» توفى صغيراً ولم يعقب، و«أمامه» تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها، وقُتل وهى عنده، فجعلت أمرها إلى ابن عمها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب مخافة أن يتزوجها معاوية، وبرأ منها لوصية زوجها الإمام على رضى الله عنه، فتزوجها المغيرة فولدت له يحيى وبه كان يكنى ولم يعقب، وماتت زينب بنت رسول الله ﷺ سنة ثمانين من الهجرة.

(٣) رقية وأم كلثوم: تزوجا ابنى أبى لهب عتبة وعتيبة، وفارقاهما بعد أن ثبتا على الشرك، ثم زوجهما رسول الله ﷺ من عثمان بن عفان واحدة بعد الأخرى فُسمى لذلك «ذو النورين» وعن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن لى أربعين بنتاً لزوجت عثمان واحدة بعد الأخرى حتى لا تبقى منهن واحدة» (وانظر أسد الغابة).

(٤) فاطمة: رضى الله تعالى عنها. هى صغرى بناته ﷺ، ولدت قبل بعثته ﷺ بخمس سنين، أيام بناء البيت، وتوفيت بعده عليه السلام بستة أشهر، تزوجها على بن أبى طالب بالمدينة فولدت له : الحسن والحسين رضى الله عنهما، ومحسن مات صغيراً، ومن البنات: زينب وأم كلثوم ورقية. وهى سيدة نساء أهل الجنة رضى الله عنها وأرضاها (وانظر كتاب: سيدات نساء أهل الجنة - المؤلف الدكتور : موسى الخطيب).

(٥) قال ابن هشام: أما إبراهيم فأمه مارية القبطية، سرية النبى ﷺ التى أهداها إليه المقوقس من قرية حصن (وتسمى الآن قرية الشيخ عبادة، وتقع فى البر الشرقى لنيل مصر).

على رأس الأربعين سنة، فأول ما بُدئ به من الوحى، الرؤيا الصادقة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحى، قيل مدتها ستة أشهر، ثم فاجأه جبريل وهو بالغار المذكور فى شهر رمضان، فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فغطّه حتى بلغ منه الجهد، ثم قال له اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فغطّه كذلك، ثم قال له فى الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥]، ولما عاد إلى خديجة وأخبرها الخبر قالت: واللّه لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلّ، وتُكسب المعدوم، وتُقرى الضيف، وتُعين على نوائب الدهر، ثم انطلقت به حتى أتت ابن عمها ورقة بن نوفل فأخبرته خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً، ليتنى أكون حياً إذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أومخرجى هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفى، وفتر الوحى نحو ثلاث سنين[1] ومن ثم حزن ﷺ لذلك حزناً شديداً، ثم نزل عليه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١، ٢]، فنهض ﷺ بالدعوة إلى اللّه، وكان أول المؤمنين به من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علىّ ومن الأرقاء زيد بن حارثة مولاه، وأول من أسلم من العبيد الباقين على الرق، بلال المؤذن، واتسع الإسلام بعد أن أسلم أبو بكر، فأسلم عثمان بن عفان، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، فهؤلاء الخمسة دعاهم أبو بكر فأجابوا، واعتق بلالاً رضى الله عنهم وغيره من الأرقاء بماله، ثم أسلم أبو عبيدة (عامر بن الجراح)، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، فهؤلاء هم الذين سبقوا الناس إلى الإسلام.

---

(١) هذا هو الرأى السائد بين المؤرخين، وهو الأقرب للصواب.

وأقام ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة على الأرجح، وظل يدعو الناس سراً ثلاث سنين، ثم نزل عليه ﷺ بعد ذلك الأمر بالإعلان فى قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، فأعلن ﷺ بالدعوة، وجاهره قومه بالعدواة، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن لهم فى الهجرة إلى الحبشة. . وكان الإسراء والمعراج، وتحت ضغط المشركين وإيذائهم له ولصحبه هاجر إلى المدينة بأمر ربه يوم الخميس غرة ربيع الأول فى العام الثالث عشر من النبوّة، وعمره ﷺ وقتئذ ثلاث وخمسين سنة.

ولقد كانت غزوات رسول الله ﷺ سبع وعشرون، وسراياه وبعوثه ثمان وثلاثون.

ولقد مضى الرسول الأكرم ﷺ فى تبليغ رسالته، والقرآن دستور دعوته، فأخرج به الناس من ظلمات الجهالة إلى أنوار المعرفة، ومن رقّ التقليد إلى حرية التفكير، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن العدواة إلى المحبة، ومن رعى الغنم إلى قيادة الأمم، فكانوا بحق كما قال الله فى كتابه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

واستمرت الحياة برسول الله ﷺ فى المدينة المنورة حتى حج حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة، وخطب خطبته البلقاء التى رسم فيها معالم الدين وحدوده، وودّع منها الناس لإحساسه بأنه ملاق ربه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣]. وصعدت روحه الشريفة ﷺ إلى بارئها يوم الاثنين ثانى عشر من شهر ربيع الأول فى السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية وعمره إذ ذاك ثلاث وستون سنة قمرية.

وجدير بنا لاسيما فى تلك الفترة من حياة أمتنا أن نفئ إلى تعاليم القرآن فنجعلها أساس نهضتنا، وركيزة حياتنا حتى يحقق الله لنا صادق وعده: ﴿ وَعَدَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٥، ٥٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

ولقد كان سيد الخلق والمرسلين ﷺ أكثر عباد الله تضرعاً ودعاء، حيث لم يخل زمان ولا مكان على امتداد حياته، إلا وله فيه نداء وابتهال وذلك لعلمه ﷺ بأن الدعاء هو العبادة بل هو فؤادها ومخها، وأنه أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى، وأعظم السبل لتحقيق متطلبات رسالته والوصول إلى أهدافها وغاياتها المنشودة لهذا كثرت أحاديثه الشريفة الحاملة للدعاء حتى استغرقت كل حياته الخاصة والعامة بحيث جاوزت كل حصر لأنها نبتت من أحاسيسه وظروفه المحيطة به وبدعوته وبالمؤمنين به.

أما أدعيته الواردة فى القرآن الكريم فهى قليلة إذا قيست بأدعيته النبوية، وقد قسمناها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الدعاء النفسى وهو دعاء واحد فقط.

القسم الثانى: وهو المأمور به من ربه والمصدّر بلفظ «قل».

القسم الثالث: وهو الدعاء الصادر من رسول الله ﷺ.

القسم الرابع: استغفاره ﷺ لنفسه ولغيره بأمر ربه.

ولقد كان ﷺ بسلوكه الأقوم التطبيق العملى لما فى القرآن الكريم من فضائل وآداب، ولهذا اصطفاه الله رحمة للعالمين، وخاتماً للأنبياء والمرسلين،

وأمرنا سبحانه بالتأسى به، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والله أسأل أن ينفعنا ببركة دعائه ﷺ فى القرآن الكريم، وأن تجعلنا يارب من عبادك السعداء الموفقين، ولا تجعلنا من عبادك الأشقياء المحرومين، واهدنا صراطك المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين أمين.

وأرجو من قرّائه الكرام أن يغضوا الطرف عن هفواته وأخطائه، فإن العصمة لله وحده والكمال لله رب العالمين.

وبالله التوفيق،،،

المؤلفان